

قراءة في كتاب "سر المعبد - الأسرار الخفية لجماعة الإخوان المسلمين" للدكتور المحامي ثروت الخرباوي

منذ بدأت قراءاتي الجادة عام ١٩٥٥ قرأت كتاب "الإخوان المسلمون_ كبرى الحركات الاسلامية الحديثة" للباحث الجاد "اسحق موسى الحسيني". ومنذئذ، صرت مشغولا بأمرين يترددان بين المثقفين والباحثين والسياسيين العرب عموما والفلسطينيين خصوصا، وهما: علاقة "جماعة الإخوان المسلمين" بالماسونية العالمية، وعلاقتهم بالحركة الوهابية السعودية. لقد قرأت الكثير في هذا المجال. وذات يوم من شهر تشرين ثاني ٢٠١٢ قرأت خبرا مفاده:

وسط حشد من المهتمين والمثقفين جرى توقيع كتاب "سر المعبد .. الأسرار الخفية لجماعة الإخوان المسلمين" الكتاب الثاني للكاتب ثروت الخرباوي في "دار نهضة مصر" التي أصدرت الكتاب. وفي مداخلة قصيرة للخرباوي أوضح أنه استعرض للأفكار وللمناطق الفكرية التي وقفت عليها الإخوان وعلاقتهم بالحركة الوهابية وسبب اختيار اسم "الإخوان".

وللعلم فقد ذكرت محطة التلفزيون العربية ان كتاب "سر المعبد" هذا الذي ينتقد الإخوان المسلمين ويتضمن الأساليب التنظيمية داخل جماعة الإخوان المسلمين وتفاصيل "الصفقات" التي كان يعقدها الإخوان مع نظام الرئيس السابق حسني مبارك في الإنتخابات وبعض آليات ومبادئ الطاعة داخل الجماعة قد حصل على جائزة أفضل كتاب سياسي خلال معرض القاهرة للكتاب.

ووزع رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب أحمد مجاهد، ورئيس اتحاد الناشرين المصريين والعرب جوائز أفضل عشر كتب في مختلف المجالات خلال المعرض.

كما أن المحامي شحاتة محمد شحاتة، رئيس المركز المصري للنزاهة والشفافية، وصاحب دعوى حظر أنشطة جماعة الإخوان المسلمين وإغلاق مقراتها، طالب يوم ٢٠١٣/٣/١٥ بضم كتاب «سر المعبد» للخرباوي ضمن مستندات قضية حل جماعة الإخوان المسلمين، والتي من المنتظر إصدار الحكم بها، قبل نهاية آذار باعتبار أن الخرباوي قيادي منشق عن الإخوان ويكشف في كتابه العديد من حقائق الجماعة. وتعد تلك الواقعة هي

الأولى من نوعها، من حيث إدراج كتاب في مستندات دفع دعوى قضائية.

وبحثت عن الكتاب، فوجدته في شهر شباط هذا العام (٢٠١٣)، ولكن في طبعته الثامنة. وقبل أن أقرر اقتناءه قرأت نداء المؤلف للقراء بعد الغلاف مباشرة، وإذا بالنداء يقول: "إذا كنت ستقرأ هذا الكتاب لتأخذه كما هو فلا تقرأه، وإذا كنت ستقرؤه وقد اتخذت مسبقاً قراراً برفضه فلا تقرأه، ولكن اقرأ وفكر ثم بعد ذلك ارفض أو قبل". فإن الكتاب ليس كما أشاع البعض ضرباً في جماعة الإخوان، وإنما هو محاولة للإستفادة من خبرات الحياة للإرتقاء لواقع أفضل.

ومن القضايا النظرية الهامة التي يناقشها الخرباوي التفريق بين الإسلامي والمسلم، وذلك باسترجاع لقائه مع استاذة "احمد ابراهيم أبو غالي بعد سبعة وعشرين عاما من الإنقطاع. وفي ذلك اللقاء قال له ان حركات المسلمين السياسية (ومنها الإخوان المسلمون) يسمون أنفسهم الإسلام السياسي، لتكون معارضتهم معارضة للإسلام، وذلك كفر، وفي ذات الوقت كل ما يوصف بالإسلامي لايجوز انتقاده، بما في ذلك فن العمارة الإسلامية. (ص ١٦٤ - ١٧٠). كما أنه يميز بين الخالق والآمر، فالخلق هو خلق شيء من شيء، وانطلاقاً من هذا الفهم الله يخلق والإنسان يخلق، ولكن "تبارك الله أحسن الخالقين". أما الأمر فهو خلق من لا شيء، وذلك لله وحده "قل الروح من أمر ربي" (ص ٢٧٣).

لقد كان ثروت الخرباوي من قيادات الإخوان المسلمين، كما أنه كان مندوبهم في نقابة المحامين المصريين، وهو الذي تكلف بالدفاع عنهم حينما اعتقلت السلطة المصرية قياداتهم، ومن هذا الموقع أقر أن الجماعة لديها أسرارها المحفوظة عن "الكهنة الكبار"، في تنظيم شبهه بـ"الماسونية"، فالأفراد العاديون للماسون لا يعرفون الأسرار العظمى لتنظيمهم العالي (ص ٢٦). وينوّه المؤلف أن كوادر الإخوان المسلمين الذين درسوا في أمريكا جرى تجنيد معظمهم للماسونية، وجرى اعتقالهم لدى السلطات المصرية كتغطية لتنظيمهم في المخبرات المصرية، التي كان بها أيضاً رموز ماسونية (ص ٢٤٤). كما أنه يكتشف في مسألة اعتقال قياداتهم (محمد بديع، وآخرون) اثناء أحد الاجتماعات السرية للقيادة في منتصف عام ١٩٩٩ وكأنها مسألة متفق عليها أو بها تواطؤ من كلا الطرفين سواء من حيث إجراءات الاعتقال ومآلها، خاصة انه كُلف بالدفاع عنهم، وقدمت له السلطات المصرية التسهيلات المطلوبة وفوق المطلوبة (ص ٣٣). ويلاحظ في نهاية الحكاية أن الإخبارية جاءت من أحد أعضاء القيادة المجتمعين (ويشير الى عمرو البليسي (ص ٤٧)، ويخفي اسم شخص آخر لأنه لا يريد أن يفضحه، ويسميه سليمان (ص ٤٩). وأن التواطؤ كان أيضاً في محاكمة كل من عصام العريان وخيرت الشاطر وعبد المنعم أبو الفتوح بين عامي ١٩٩٥ و١٩٩٦، حيث وافق معهم عمر سليمان (مسؤول المخبرات) أن تطلق السلطة يدهم في المساجد على ان لا يدخلوا انتخابات نقابية او تشريعية لمدة خمس سنوات (ص ٣٩).

ويعود الكاتب الى التاريخ، وخاصة تاريخ الإمام المؤسس حسن البنا، حيث كان لأبيه روابط حميمة مع آل سعود، ومذهبههم الوهابي، وتأثر حسن البنا بالسعوديين وتجربتهم لدرجة أنه أطلق على تنظيمه اسم جماعة الإخوان، وهو ذات الإسم الذي أطلقه السعوديون على جيشهم، وحتى شعار الجماعة جعله سيفين. وليؤكد على النظرية جعل القرآن بين السيفين (ص ١٨٣)، وكان محمد بن عبد الوهاب يلقب بصاحب الدعوة، وكذلك كان

حسن البنا. وكما فرض السعوديون رأيهم بالقوة، كان عدد من المفكرين المصريين يعتقدون أن الإخوان المسلمين سيفرضون رأيهم بالقوة عندما يتمكنون من ذلك. ومن هؤلاء المفكرين يذكر المؤلف عباس محمود العقاد الذي "كتب مقالا في يناير ١٩٤٩ قال فيه سيستخدم الإخوان القوة ذات يوم لفرض افكارهم" (ص٢٠٤). ويرى المؤلف أن استعمال القوة كان أساسا من أسس تفكير الإخوان المسلمين، ويستشهد برسالة المؤتمر الخامس التي كتبها حسن البنا، والتي تقول "الإخوان يعلمون أن أول درجة من درجات القوة هي قوة العقيدة والايمان، ويلبها قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدها قوة الساعد والسلاح" (ص٢٠٥). لقد بدأت مشاكل الخرباوي مع الاخوان المسلمين حين تجرأ وناقش في إحدى محاضراته أقوال المرشد العام الحاج مصطفى مشهور الواردة في كتابه "تساؤلات في طريق الدعوة"، وكان المرشد العام هذا قد زل لسانه بالقول "اننا سنصل الى الحكم عام ٢٠١٨" (ص١٥٧).

ويشير المؤلف الى اللحظة التي دق فيها جرس الانذار عنده حينما قال له الهضيبي "نحن نتحالف مع من يستطيع ان يقربنا من دوائر صنع القرار.. واي شخص قريب من دوائر السلطة العليا سنتحالف معه، ولن نقبل ان يخرج اي واحد منا على هذا القانون.. هذا هو دستور الجماعة.." (ص٢١). خرج من عند المرشد وقد قرر ترك الاخوان، ويقول "وحين وطئت قدماي أرض الطريق شعرت بخفة روحي، وحررتي، وسعادي" (ص٢٤). أما رسميا فلم يتك الإخوان المسلمين إلا عام ٢٠٠٢، ورغم أنه ترك رسميا إلا أن علاقاته الانسانية والودية بقيت مع بعضهم، فكان منهم الأخ مختار نوح، الذي تعرض للإقصاء، والمضايقات بسبب ذلك (ص١٢٥).

ويكشف الخرباوي عن طبعة قديمة لأحد كتب الشيخ محمد الغزالي، وجده يتحدث فيها عن أن المرشد الثاني الهضيبي كان ماسونيا، ورد الشيخ إبراهيم عزت الذي كان أميراً لجماعة التبليغ والدعوة في مصر أن الشيخ الغزالي كتب مثل هذا الكلام في ثورة غضب بعد خلاف بينه وبين الجماعة ثم إنه بعد أن هدأت ثأثرته قام بحذف هذه العبارات من الطبعات الجديدة للكتاب. ويؤكد المؤلف أن هناك مقالا لسيد قطب عثر عليه في جريدة "التاج المصري" ثم وجد أن الجريدة كانت لسان حال المحفل الماسوني المصري! وكانت لا تسمح لأحد أن يكتب فيها من خارج جمعية الماسون. وخلال قراءته لكتاب "الأسطورة الماسونية" للأمريكي "جي كي" يروي عن طقوس الإنضمام من المبايعة في غرفة مظلمة شبيهة بالإخوان، كما يضيف المؤلف بأنه حتى شعار الإخوان الخماسي ربما تأثر بالخاموس الماسوني، ويستطرد في سرد أوجه التشابه بين التنظيمين.

أبدى عدد من أعضاء الجماعة عام ٢٠٠٣ رغبة الإخوان في التقارب من الغرب، فالدكتور عصام العريان حين كان في السجن فتح حواراً مع الدكتور سعد الدين إبراهيم بهدف التقارب مع أمريكا على وجه الخصوص. ويرى الخرباوي أن الإخوان فتحوا منافذ مع أمريكا للوصول للحكم، وليس للحصول على الحرية في عصر مبارك السابق. ويرى المؤلف ان مغارة اسرار المعبد قد انفتحت عليه عندما أخبره قيادي إخواني (عضو مكتب ارشاد) عام ٢٠٠٥، وكانت تربطه به علاقة شخصية طيبة اثر خدمة قدمها ثروت الخرباوي لاحد اقاربه، أن علاقات الاخوان بأمريكا تتطور بشكل يهد لهم حكم مصر، وكانت المفاوضات بشكل خاص عبر خيرت الشاطر وعصام العريان، واحيانا تتم بدون علم مكتب الارشاد، اذ تنحصر بين هذين الاثنين والمرشد العام (ص١٣٦).

ويعتبر الخرباوي أن فكر التكفير كان مختبئاً في رسائل حسن البنا والتي جاء في طياتها مقاطعة المحاكم الأهلية، وكل قضاء غير إسلامي، والأندية والصحف والجامعات والمدارس والهيئات التي تناهض الفكرة الإسلامية، مقاطعة تامة. ولهذا يعتبر المؤلف أن الاغتيالات التي قام بها النظام الخاص التابع للإخوان كانت له تبريرات شرعية عند الإخوان. في ٢٢ مايو عام ١٩٨٦ توفي عمر التلمساني المرشد الثالث لجماعة الإخوان، كان عمر التلمساني صمام أمان لجماعة وشعب ووطن. فقبل وفاته أخذت بعض الأشباح تتسلل إلى جماعة الإخوان لتأخذ مكاناً ومكانة، كانت هذه الأشباح تسير في ركاب الحاج مصطفى مشهور الذي كان قد عاد إلى البلاد عام ٨٥ بعد رحلة هروب استمرت عدة سنوات، وكان أخطر من حط رحاله في مصر قبيل وفاة عمر التلمساني بحسب المؤلف "محمد مرسي، خيرت الشاطر، محمود عزت، محمد بديع" وقد صدّهم المرشد الخامس للإخوان مصطفى مشهور وأعطاهم "منديل الأمان" (ص ١٠٠). يحكي الكتاب هجوم عمر التلمساني على ما فعله مصطفى شكري حين قتل الشيخ الذهبي، ويصف فعلته بأنها مصيبة عظيمة. أما قبل ثورة الخامس والعشرين بعام ونصف تقريباً فتحدث الشيخ القرضاوي في نقابة الصحفيين مهاجماً فكر سيد قطب، الذي رآه يختلف عن فكر البنا من حيث اتجاهه للتكفير وهو ينافي منهج أهل السنة والجماعة، لكن محمود عزت ومحمد مرسي قالوا في لقاء بقناة "الفراعين" أن أفكار سيد قطب هي أفكار الإخوان، وهاجما القرضاوي بقسوة!

يهاجم الخرباوي حديث المستشار مأمون الهضيبي مرشد الإخوان حين قال بمنظرة معرض الكتاب في أوائل التسعينات في مواجهة فرج فودة قال "إن الإخوان يتعبدون لله بأعمال النظام الخاص قبل الثورة". ووصف الخرباوي كلماته بأنها جارة لمدينته وسلميته، ان تعبد لله بالاغتيالات والتفجيرات؟، ثم عاد مأمون الهضيبي وأنكر أنه قال ذلك حين هاجمته الصحف

وبعد قراءتي للكتاب صرت حائرا ايهما اكثر دقة في تحديد هوية الكتاب: هل هو المحامي شحاته الذي يعتبره وثيقة قانونية؟ ام الآخرون الذين يعتبرونه شبيها لرواية "شيفرة دافنشي"، للكاتب الامريكي دان براون، رواية تشويق، وغموض، رواية خيالية بوليسية معتمدة على احداث حقيقية؟ وحسنت امري ان في قول كل منهما حق، فهو وثيقة، وألحق به المؤلف وثائق حقيقية، وهو رواية مشوّقة تقع على خط التماس بين الرواية والسيرة. ويضاف الى ذلك ان القارئ يخرج بمقولة هامة وصحيحة، ان الجماعة هي جماعة دعوية ضلت طريقها إلى السياسة، زعمت أنها تريد أن تصلح السياسة بالدين، فأفسدت دينها بالسياسة. وهذا يذكرنا بقول جمال البنا(الاخ الاصغر للامام حسن البنا، والمناضل النقابي المثقف) حيث يقول: "السلطة مفسدة للعقيدة، هكذا كانت عند المسلمين منذ عثمان بن عفان، وهكذا كان في الثورة الفرنسية منذ نابليون، وهكذا كانت في الثورة البلشفية منذ ستالين، وهكذا كانت في مصر منذ فاز الاخوان المسلمون".

عبد الفتاح القلقيلي